هويّةٌ مشوّهةٌ أم أنوثةٌ مجروحةٌ
دراسةٌ في سيمائيَّةِ "نواقيسُ العزلةِ"

Distorted Identity or Scarred Femininity
A study in the semiotics of Solitude Bells

رحاب يحيى عبد الرزاق الكيلاني [1]
Rehab Alkilani [1]

10.15849/ZJJHSS.241130.07

الملخص

تطرحُ هذهِ الدِّراسةُ روايةَ "نواقيسُ العزلةِ" منْ خلالِ تحليلِ الهويَّةِ المشوَّهةِ لشخصيَّةِ البطلةِ؛ إذ تعرضُ الرِّوايةُ معاناةَ البطلةِ مريم في سعيِها لاكتشافِ هويَّتِها الأُنثويَّةِ وسطَ التَّحدّياتِ النَّفسيَّةِ والاجتماعيَّةِ الّتي تواجهُها. ويركِّزُ البحثُ على تجربةِ مريم الشَّخصيَّةِ منْ خلالِ أحداثِ الرِّوايةِ وتفاعلِها معَ الشَّخصيَّاتِ الأخرى، وكيفَ تسعى لإيجادِ ذاتِها منْ خلالِ محاولاتِها اليائسةِ لتحقيقِ الأمومةِ، ودورِ زوجِها والظُّروفِ المحيطةِ بها في تعقيدِ هذا السَّعي. وتكمنُ أهمّيَّةُ هذا البحثِ في تسليطِ الضَّوءِ على قضيَّةِ الهويَّةِ والأنوثَةِ في الأدبِ الإماراتيّ الحديثِ، وكيفَ عبّرت الكاتبَةُ عن التّحدّياتِ النَّفسيَّةِ والاجتماعيَّةِ الّتي تواجهُ النِّساءَ في مجتمعٍ معاصرٍ.

الكلمات المفتاحية

الهويّة، الأمومة، النسوية، العزلة النفسية، الأدب الإماراتي.

Abstract

This study examines Latifa Al-Hajj's novel, Solitude Bells (Nawaqis Al-ozla), by analysing the character's distorted identity as a female hero. The novel presents the struggling Mariam's quest to discover her female identity in the midst of the psychological and social challenges she faces. The study focuses on Mariam's personal experience through the events of the novel and her engagement with other characters, how she seeks to find herself through her desperate attempts to achieve motherhood, and the role of her husband and the circumstances surrounding her in complicating this quest. The importance of this study is to highlight the issue of identity and femininity in modern Emirati literature, and how the writer expresses the psychological and social challenges facing women in a contemporary society. The methodology followed in this research is analytical approach, that compare and contrast the concepts as well as analysing them in order to find the atmosphere and the circumstances that women were living in.

Findings come as follows, women were in challenging situation, as well as women found themselves forced to come up with solutions to overcome the obstacles.

Keywords:

Identity – Motherhood – Feminism – Psychological isolation – Emirati literature

[1] جامعة زايد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة العربية، اللغة العربية، أدب ونقد
*للمراسلة: Rehab.alkilani@zu.ac.ae
تاريخ استلام البحث: 2024/08/22
تاريخ قبول البحث: 2024/10/08

[1] Zayed University, College of Humanities and Social Sciences, Arabic Language, Literature and criticism
*Corresponding author: Rehab.alkilani@zu.ac.ae
Received: 22/08/2024
Accepted: 08/10/2024

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

المقدمة

ازدادت في السنوات الأخيرة، الأصوات المنادية بتعزيز خطابات الهوية السياسية والاجتماعية والثقافية، وشهدت الساحة الفكرية العديد من المؤلفات التي تناقش وتحلل مفهوم الهوية، مما يعكس الأهمية المتزايدة لهذا الموضوع في ظل التحولات الجذرية التي تعصف بالمجتمعات في عصر المعلوماتية. يبرز المجتمع الإماراتي كنموذج لهذه التحولات، حيث شهد تغييرات اجتماعية واقتصادية وثقافية كثيرة في فترة زمنية قصيرة أدت إلى تشكيل مجتمع جديد نوعًا ما، تجتاحه البراجماتية بشكل أو بآخر وتؤثر على قيمه الأصيلة، وهذا ما نلحظه من خلال كتابات الروائيين والروائيات في الإمارات.

وتنبع أهمية هذا البحث من الحاجة الماسة لفهم تأثير هذه التحولات على الهوية في الأدب الإماراتي، وقد انطلقت فكرة هذا البحث من رسالة ماجستير للباحثة نفسها، تناولت فيها إشكالات الهوية في الرواية الإماراتية ودرست مجموعة من النصوص الروائية لكتّاب إماراتيين شغلتهم موضوعات الهوية. ووجد البحث أن الهوية تتراوح بين منغلقة متقوقعة على الذات، وبين هوية منفتحة على الآخر. واستكمالًا لهذا المشروع البحثي؛ تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف إشكالات الهوية في رواية "نواقيس العزلة" للكاتبة لطيفة الحاج. وتتمحور الدراسة حول السؤال الرئيس: كيف تتجلى الهوية في هذا النص؟ أهي منفتحة أم منغلقة؟ أهي ثابتة أم متحوّلة؟

تتجاوز إشكالية الهوية في رواية (نواقيس العزلة) حدود الصراعات الفردية لتتجلى كجزء من اللاشعور الجمعي الذي أشار إليه كارل يونج، إذ "آمن يونج فيما أسماه بـ(اللاشعور الجمعي) الذي يتجاوز الأفراد إلى الجماعات البشرية المتمثلة في أسلافنا القدامى الذين تربطنا بهم صلات وثيقة تجعل الناس جميعا يشتركون في لاشعورهم الجمعي وأساطيرهم التي تأخذ شكل صور ابتدائية أو نماذج أولية عليا تنحدر إلى المجتمعات في شكل رواسب نفسية موروثة عن تجارب الأسلاف"[1] وفقًا لرؤية يونج، يشترك الأفراد في تجارب نفسية مشتركة تتوارثها الأجيال عبر ما يُعرف بالنماذج الأصلية التي تتسلل إلى لاشعور الأفراد وتؤثر في سلوكهم وتصوراتهم عن ذواتهم. في هذا السياق، يمكن فهم تشوه الهوية في الرواية على أنه نتاج هذا التداخل بين التجارب الفردية والذاكرة الجمعية.

وبناء على هذه الرؤية، اتكأت الدراسة على فرضية يونج في التحليل النفسي الاجتماعي، الذي ينظر إلى سلوك الإنسان كمزيج من الخبرات الشعورية والجماعية الناجمة عن اللاشعور الجمعي، وبذلك يمكن فهم هويّة الشخصيات الروائية باعتبار أن العالم المتخيل في الرواية هو مرآة للعالم الواقعي، حيث تتسلل الهوية بين طيات النص لتعكس واقع الشخصيات وتكشف أبعادها النفسية والاجتماعية.

تشمل إجراءات البحث تحليل العناصر الروائية الأساسية مثل الشخصيات، والمكان، والزمن، والأحداث، بهدف فهم كيفية تداخل هذه العناصر مع تجليات الهوية في النص. وقد تم تقسيم الدراسة إلى خمسة أقسام هي: مقدمة تطرح الإشكاليات والإطار النظري، وتليها ستة أقسام رئيسة. في القسم الأول، تحلل أزمة الشخصية والسارد البطل، حيث تستكشف الصراع الداخلي الذي يعيشه البطل ودوره في الرواية.

[1] قطوس، بسام، دليل النظرية النقدية المعاصرة مناهج وتيارات، فضاءات للنشر والتوزيع، 2015، ص44-46.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

في القسم الثاني، تتناول بناء الشخصية وكيفية تطورها عبر النص. أما القسم الثالث، فيركز على الزمن المؤطر وأثره على انسيابية الحدث، وكيفية تأثير الإطار الزمني على تطور السرد. في القسم الرابع، تستكشف تأثير الأمكنة على مشاعر البطلة وكيفية تفاعلها مع البيئة المحيطة بها. ويتناول القسم الخامس الوعي بالأحداث وتشوّه المشاعر، مسلطًا الضوء على الانعكاسات النفسية للأحداث على البطلة. وأخيرًا، يعالج القسم السادس قضية الهوية المشوهة، متسائلًا عما إذا كانت حقيقة أم أزمة معتقد، ثم جاءت الخاتمة والنتائج.

وقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من المراجع العربية المهمة التي دعمت التحليل وأسهمت في الوصول إلى أهم النتائج التي يمكن إجمالها أن الهوية في نواقيس العزلة مشوّهة ومتأرجحة بين المعتقدات التي ترى اكتمال المرأة بأطفالها، ومعتقدات تبحث فيها المرأة عن ذاتها في نصوص عالمية تعيشها، لتظل أزمتها تضغط على أفكارها فتدعوها للخيالات والهلوسات هربا من واقع مشوّه، لا ترتضيه لنفسها.

الإطار المفاهيمي

الهوية: مفهوم ديناميكي يتشكل ويتغير وفقًا لعوامل عدة مثل الثقافة، والتاريخ، والجندر، وترتبط بالخصوصية ووعي أفراد المجتمع وممارستهم لها، حيث يهدف المفهوم إلى "التأكيد على شيء مشترك ومستمر بين الأفراد وإلى إبعاد الخلفية التي تفرق بينهم بشكل ملموس"[1] والهوية روح الجماعة ووعيها بذاتها مقابل وعيها بالآخر، هي صورة تخزنها الجماعة في ذاكرتها وتتوارثها جيلا بعد جيل، لكنها تبقى وهما"[2]، وهي بذلك مفهوم ذهني يخلق في أذهان المجموعات البشرية التي تحيا في بيئة محددة، وتتوارثه هذه المجموعة، وتضفي عليه خصوصيات محددة تميزها عن غيرها من المجموعات، إذن يعتمد استمرارها وبقاؤها على الذاكرة الجمعية للجماعة البشرية، فاستمرار الوعي بها هو الضمان لبقائها. وفي الأدب، تسهم الهوية في صياغة الشخصيات، وصراعاتها الداخلية والخارجية، مما يجعلها محركًا أساسيًا للتفاعل مع البيئة المحيطة.

الرواية النسوية: نوع أدبي يركز على قضايا النساء، ويعالج الصراعات المرتبطة بالهوية الجندرية والانتماء، وغالبًا ما تسعى إلى استكشاف الأدوار المجتمعية للمرأة وتحدي الصور النمطية المفروضة عليها، وهي تُعنى بقضايا الهوية الجندرية مثل دور المرأة في الأسرة والمجتمع، وتواجه من خلالها الشخصية الرئيسة العديد من التحديات المتعلقة بمفهوم الذات والآخر، خصوصًا في مجتمعات تتداخل فيها العادات والتقاليد مع المفاهيم الحديثة. في سياق الرواية النسوية، لا يمكن تجاهل إسهامات جوليا كريستيفا في فهم تعقيد تجربة الأمومة وعلاقتها بهوية المرأة. ترى كريستيفا أن الأمومة ليست مجرد دور بيولوجي أو

---

[1] غي هرميه وآخرون، قاموس علم السياسة والمؤسسات السياسية، ترجمة: هيثم اللمع، ط1، ص 408، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2005.

[2] لارين جورج، الإيديولوجيا والهوية الثقافية، ترجمة: فريال حسن خليفة، ط1، ص 270، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

اجتماعي، بل هي ظاهرة نفسية متعددة الأبعاد تسهم في تكوين هوية المرأة، مما يثير توترات داخلية بين رغبتها في الاستقلالية واحتياجاتها المجتمعية كأم.[1] في رواية "نواقيس العزلة"، تتجلى هذه الإشكالية في الشخصية الرئيسية التي تواجه صراعًا بين توقعات المجتمع لها كأم، وبين سعيها لاكتشاف ذاتها كفرد مستقل، وهو ما ينعكس في اضطراب مشاعرها وهروبها إلى الخيال.

العلامات: "الخطاب الأدبي ليس سوى مجموعة من العلامات أو الدلائل المنتجة في خضم عملية الإنتاج السيميوطيقي عن طريق تشفير علامات اللغة في علاقاتها المعقدة مع العالم عبر الذات المنتجة (الكاتب)"[2]. هذه العلامات ليست فقط رموزًا أو كلمات، بل هي تجسيد للمعاني والمشاعر والأفكار التي تعكس تجارب الشخصيات وصراعاتها، وفي إطار دراسة الهوية، تصبح هذه العلامات مفتاحًا لفهم كيفية تشكل الهوية الفردية والجماعية، وكيفية تأثير السياقات الثقافية والتاريخية على الأحداث ضمن السياقات الزمانية والمكانية.

وعلينا الانتباه إلى أنه لا يمكن اعتبار أي شيء بمنزلة إشارة إلا إذا كان يعمل ضمن شيفرة، "وتمثل الشيفرات في السيميائية بعدًا اجتماعيًّا. الشيفرة مجموعة من الممارسات التي يألفها مستخدمو وسيلة الاتصال التي تعمل ضمن إطار ثقافي واسع"[3]. ومن ثمّ تبرز أهمية العلامات بما تحمله من قيّم دلالية عميقة.

ومن هذا المنطلق فإن تفكيك التشفير هو رحلة لفهم الذات والآخر، والتفاعل مع السياقات الاجتماعية والثقافية المشكّلة للهويّة، ومن هنا، تصبح العلامات أداة فعالة للاستكشاف والتحليل، ومن ثمّ فهم الدلالات العميقة بصورة أوضح.

النص الروائي

تحكي رواية "نواقيس العزلة – تبًّا للروايات"[4] للطيفة الحاج[5] قصة (مريم) التي تعاني من أنوثة مجروحة سببها عدم قدرتها على الإنجاب؛ إذ أجهضتْ مرتين متتاليتين، فأصابها ذلك بحالة نفسية استدعت التدخل العلاجي بالأدوية المهدئة، وتدور أحداث الرواية حول مريم التي نشأت في مدينة العين الهادئة في دولة الإمارات، وتزوجت مهندسًا، والتي آمنت بموهبته الروائية فشجعته على الكتابة والتأليف؛ ليصبح بفضلها روائيًّا مشهورًا له تسع روايات متداولة، ومئات المعجبات اللواتي يطاردنه من معرض إلى معرض.

---

[1] كريستفا، جوليا : زمن النساء، ترجمة: بشير السباعي، مجلة ألف، العدد 19، منشورات الجامعة الأمريكية، القاهرة، 1999، ص192–209.

[2] حسين، خالد، شؤون العلامات من التشفير إلى التأويل، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق 2008، ص100.

[3] تشاندلر، دانيال، أسس السيميائية، ترجمة: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008، ص252.

[4] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م.

[5] كاتبة إماراتية، لها العديد من الأعمال الأدبية أهمها: وادٍ في القلب، سين تريد ولداً، نواقيس العزلة– تباً للروايات.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

تتماهى شخصية البطلة مع حياة شخصيات روايات زوجها (راشد)؛ إذ تتشظى بين الحيوات الخيالية للروايات التسع، يرافقها شخصية روائية مستدعاة من رواية (أحدب نوتردام)، الأحدب (كوازيمادو) يقعد لها في كل الأمكنة والأزمنة، في صحوها ونومها، ملوحًا برشادٍ[1] يحمله بيده، ويطرق نواقيس عزلتها التي صنعتها بنفسها بعد انسحابها من عالمها الواقعي، لتغوص في عالم الأحلام والهلوسات المتراكبة والمتوالدة.

يبدأ السرد من لحظة ابتلاع البطلة للحبوب المهدئة، أو كما تصفها (بحبوب الشجاعة)، لتسرد قصة امرأة عانت من المجتمع صغيرة بقيوده وأفكاره وتصوراته عن المرأة وحياتها، امرأة مكبلة بقوانين والدتها، وخوفها من والدها، لتستمر المعاناة بعد زواجها، فتتحوّل هذه المخاوف إلى طعنات في الأنوثة المجروحة بسبب فقدان المقدرة على الإنجاب حين تجهض عدة مرات.

تنسحب البطلة عن الحياة الاجتماعية المحيطة بها بإرادتها، وبلا إرادة منها تعيش حياة الروايات التي يكتبها زوجها الروائي، فتتماهى مع هذه الشخصيات، مطلِعَةً القارئ على الروايات التي سيطرت على زوجها، فجعلته يعيش الروايات وهو يكتبها، وكيف سيطرت عليها كذلك؛ لأنها مضطرة أن تعيش معه هذه التحولات، مع كل رواية جديدة.

يستمر السرد متنقلاً بين حياتها، ومشاعرها، والظروف التي عانت فيها، وذلك في كل مرة يبدأ زوجها بكتابة نص جديد، وكأنه استغنى بهذه النصوص عنها، وعن أبنائه منها، ومع استمرارها بابتلاع الحبوب المهدئة، ترتفع وتيرة البوح أكثر، لتغيب بعدها عن الوعي عدة أيام، فتصحو على سرير في المشفى، وبقربها زوجها وعائلتها، لتنتهي نواقيس عزلتها وقد استفاقت من نومها، بعد غيبوبة استمرت ثلاثة أيام، كانت تحت وطأة ثقل المواد المنومة والمهدئة، وتجد أن (كوازيمودو) الأحدب، قد اختفى بعد أن شاركها أحلامها وشهد هواجسها.

وبهذا تترك القارئ أمام رواية هاربة من عالم الأحلام وهلوسات امرأة مجروحة، كشفت عبر سردها، عالمًا متسعًا مستمدًا من طفولتها، وذكرياتها القديمة تارة، وفضاء العالم الروائي لشخصيات أبطال روايات زوجها راشد تارة أخرى؛ ليكون كل ذلك متضافرًا مع قراءاتها، ومعارفها الواسعة، عن شخصيات الروايات العالمية أمثال: زوسكيند وكافكا وذلك من خلال عين البطلة الهائمة، المتشعبة في الأزمنة والأمكنة والأحداث، وبحثٍ مستميتٍ عن طفلٍ يهبها الحياة، ويجعها امرأة كاملة.

[1] الرشاد باللهجة الإماراتية هو (يد الهاون).

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

أولًا: أزمة الشخصية، والسارد البطل.

تُقدّم الشخصيات في هذه الرواية بوساطة سارد هو البطل ذاته، تبدأ الرواية بقول البطلة: "مغمضة عيني، شاعرة بالوهن، أهزّ "المنز" الذي أضع فيه طفلي حتى ينام وأنا أردد هذه التهويدة بصوت خفيض"[1]، فنتتبع السرد من خلال عيني الشخصية الرئيسية بطلة الرواية مريم، وهو ما يسميه (جيرار جينيت) السارد داخل الحكي، أو ما يسمى (السارد البطل)، ويقوم هذا السارد بمهمتين وبدور مزدوج: فهو بطل النص وهو سارده كذلك، فلا نرى إلا وجهة نظر البطلة (مريم) في السرد، ولا نسمع إلا صوتها، ومن خلال رؤية ذاتية تنتقي المعلومة السردية فتكون "مصفاة لا تسمح إلا بمرور المعلومة التي يخولها المقام"[2] وتختفي باقي الأصوات ويبقى القارئ منتظرًا المعلومة التي يمنحها هذا السارد، حتى الكلمة الأخيرة في الرواية حين يكتشف أنها كانت في غيبوبة وهي تصحو منها الآن، ومع تكرار إعطائها معلومة أنها تتعالج نفسيًّا من أضرار الإجهاض، يبقى السؤال: أيكون ما سردته حقيقة أم أنه محض خيال وأوهام؟! وماذا عليه أن يصدق، وماذا عليه ألا يصدق؟!

الشخصية الرئيسة مضطربة، هائمة سائرة كما لو كانت تعيش كابوسًا طويلا أو أوهامًا وهلاوس، تجتهد لتقنع القارئ أن ما تقوله هو الحقيقة؛ بسبب الحبوب المهدئة التي ستبدأ في ابتلاعها، فتقول: "سأحكي لكم وسأخبركم عن كل ما واجهته وعشته، تلك الحبوب الصغيرة التي بدأت أبتلعها منحتني الشجاعة، لطالما كان التردد صفة غالبة عليّ، خاضعة لأوامر الآخرين الأكبر مني والأعلم بمصلحتي"[3]، إنها شخصية متشظية، تعيش قلقها الذاتي على مستوى الوعي واللاوعي من خلال هلاوس لا تستطيع السيطرة عليها، ومن هنا فإن طبيعة الدور الذي تنهض به مريم يساهم في بنائها أيضًا؛ إذ تتبلور وظيفتها السردية بوصفها شخصية رئيسية وساردة في الوقت ذاته.

ومن الشخصيات الأخرى في هذا النص الروائي شخصية (راشد) الذي لا نراه إلا من خلال علاقته برواياته وعوالمها، لكنه شخصية متطورة متحولة ومتغيرة، وفقًا لحالة الكتابة التي يعيشها، أو التي يتعالق بها، والشخصيات عديدة مستمدة من الروايات العالمية، التي وظفتها الساردة لإضفاء مزيد من الغرائبية على نصها "نواقيس العزلة"، إنها شخصيات مشوّهة تشوهًا جسديًّا مرة مثل أحدب نوتردام، ومسخ كافكا، أو شخصيات مشوهة نفسيًّا مثل غروناي زوسكند.

أما البطلة –وهي الشخصية الرئيسة ومحور الحدث– فإن حياتها تبقى ردود أفعال لما يقوم به زوجها وما يكتبه في أعماله، فنراها سلبية لا تقوى على الفعل، لأنها "شخصية لا تستطيع أن تؤثر بالآخرين"[4] بل تستسلم، وتتجه أنّى شاءت لها الرياح الذهاب.

---

[1] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص9.

[2] القاضي، محمد وآخرون، معجم السرديات، د.ط، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010م، ص65.

[3] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص12.

[4] مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، مجلة عالم المعرفة، العدد 240، 1998م، ص102.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

ثانيًا: بناء الشخصية

- البناء الخارجي للشخصية: تخبرنا الشخصية عن اسمها: مريم، لكنها لا تبالغ بوصف شكلها، بل يبدو هذا تعمدًا مقصودًا، وهو يتناسب مع حالة الهلوسة التي تسرد عبرها حكايتها، فلا نعرف عن شكلها الخارجي شيئًا سوى أنها امرأة شابة، وقع الشاب راشد في حبها من لحظة رآها، فخطبها وانتظرها طويلًا حتى وافق والده على هذه الخطبة، والزواج بعده، تحب زوجها الروائي، لكنها تغار من شخصياته الروائية لرواياته التسع، وتغار من معجباته، ومع ذلك تتماهى معها حينًا آخر، "ارتباط حياتي برواياته يتعبني، أقرأها من زاويتي، أُسقط الأحداث والحوارات علينا أنا وهو، خصوصًا حين يتعمد اللامباشرة، أحورها وأغيرها حتى تتبلور فكرتها في عقلي"[1].
- البناء الداخلي للشخصية: تصف نفسها بعدة صفات كلها تدل على الاستلاب والتشوه والضياع، فهي مترددة طوال الوقت، جبانة، تواجه الحياة بالحبوب المهدئة، تخشى الأشياء المحيطة بها، والحياة، لا قدرة لها على اتخاذ قرار، تقول: "نشأت منعزلة ومنطوية وجبانة، خائفة دومًا من شيء ما..."[2] وهي كذلك "الزوجة التي فقدت عقلها وقد أمكنه أن يجعل مني مادة دسمة لرواياته"[3]. كما أنها امرأة تحمل رحمًا مشوها لا يحتفظ بجنين، "أنا لا شيء، إجهاض تلاه إجهاض، اكتئاب؟ ربما، هلاوس، واقع مختلط بأحلام ورؤى بعضها مخيف."[4] أجهضت مرتين، وكتب زوجها حكايتها في روايته (ذاكرة الرحم)، فغضبت لأنه حكم عليها بنبوءته أنها ستبقى بلا أبناء، تقول واصفة حالها: "رحمي ضعيف، فاسد، كسول، جبان، نعم جبان، جبن عن حمل أبنائي، حرمني منهم هكذا بهذه البساطة"[5].

إن مركب النقص الذي تعاني منه الشخصية في هذه الرواية، أدى إلى خلل في تركيبتها النفسية، وجعلها تدمن العقاقير المهدئة، لذلك فإن البطلة (مريم) قامت "بتسجيل التجارب الإنسانية بحقائق إنسانية عن طريق الإيحاء"[6] لذلك نجدها تبالغ في تصوير حالتها النفسية، لتصل إلى المبالغة الشديدة في وصف حالاتها النفسية المضطربة، حتى تبدو في " أقصى درجات التعقيد، بحيث يتعذر الحكم على أشخاصه بإخضاع دوافعهم النفسية لمنطق معين، فتقترن العواطف المتضادة، فيستحيل تمييز خيوطها المتشابكة"[7].

وهذه المبالغة محاولات مستميتة لإثبات الهوية وسط الأزمات النفسية التي تعاني من شدتها، وهذا التغير في رصد شكل الهوية النسائية من منتجات الرواية الجديدة التي انتشرت في الآونة الأخيرة، وفي الإمارات تحديدًا؛ إذ تحوّل البحث من "الاهتمام بمعالجة قضايا المجتمع إلى معالجة قضايا الذات، ومن

---

[1] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص113.
[2] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص13.
[3] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص103.
[4] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص176.
[5] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص181.
[6] هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، ط8، دار نهضة مصر، مصر، 2009م، ص524.
[7] هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، ط8، دار نهضة مصر، مصر، 2009م، 526.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

تعدد الخطابات والشخصيات إلى أحاديتها، ومن إعادة إنتاج الواقع الحقيقي الخارجي إلى التمرد عليه واختراق محرماته"[1].

وهذا يطبع شخصية البطلة مريم بتداخل الحدث الواقعي بالمتخيل في تصرفاتها، فلا يتضح الخيط الفاصل بينهما إلا بصعوبة شديدة، كما أن الشخصية الرئيسية، تبتعد عن كونها بطلًا من أبطال الحكايات الكلاسيكية، وتتنازل عن هذا الدور لزوجها الذي صدمها مع الوقت بتخليه عن هذا الدور الشهم، لذا نجدها تصفه بقولها: " كان يقول لي كلامًا جميلًا في السابق، في فترة خطوبتنا وأول شهور زواجنا يشبه ما يقوله أبطال الروايات في الأعمال الكلاسيكية، كنت أجده يشبههم في صفات عديدة، تحفظهم وشهامتهم ورقتهم مع محبوباتهم وحتى في طريقة تصفيفه لشعره"[2] وتكرر هذه الفكرة، فتقول في موضع آخر: "أضعت بطل الروايات الكلاسيكي إلى الأبد، صار بطلًا حزينًا محبطًا وكثير الصمت، يشبه الأبطال الغرباء أصحاب الشخصيات المركبة التي بدأ يكتب عنهم"[3].

هذه الشخصية المركبة المعقدة المستلبة التائهة الباحثة عن حياتها التي تعاني من ضغط المجتمع وتصوراته عن هوية امرأة متزوجة، ونظرته البائسة واليائسة من امرأة لا تنجب، هي شخصية البطلة مريم الخائفة التي تهلوس وتحكي تحت تأثير حبوب التخدير النفسي.

ثالثًا: الزمن المؤطر وأثره على انسيابية الحدث

الزمن السردي مكون أساسي من مكونات النص السردي، وهو محدد بأفعال تؤطر الحدث، بالفعل الماضي، لأنها تعتمد أسلوب الاستدعاء، فكأن خط الزمن يسير إلى الماضي دومًا، ونجد أن الأزمنة تتداخل وتتشابك تتداخل الأزمنة وتتشابك في رواية "نواقيس العزلة"، لتبدو اللحظات التي غابت بها البطلة عن الوعي، هي الزمن الحقيقي للسرد، لتخبر القارئ في نهاية النص أنها كانت غائبة عن الوعي لعدة أيام، وكأن كل ما سردته من أحداث وأخبار وشخصيات وروايات زوجها، وهدهدات طفلها (عبودي) النائم، وشقيقته (ميثانة) ما هي إلا أضغاث أحلام، أو تهويمات على هامش الحياة.

يمتد عمر الرواية إلى عدة أيام غابت فيها البطلة عن الوعي، أخذت حبوبًا مهدئة لتريح أعصابها، بعد قضائها مدة أسبوعين في مزرعة والدها بمنطقة سويحان، "كنت في مزرعة والدي طوال الفترة الماضية، أظن أنها امتدت لأسبوعين"[4]، لكنها ستأخذ حبوبًا أكثر مما وصفه الصيدلي، تقول: "سأتناول الحبتين مرة واحدة، وليكن ما يكون"[5]، غير أن مشكلة الزمن في أي عمل سردي، تطرح بسبب من التباين بين

[1] الفيصل، سمر روحي، الرواية النسوية الإماراتية، ط1، وزارة الثقافة وتنمية المعرفة، أبو ظبي، 2016م، ص179.

[2] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص39.

[3] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص103.

[4] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص11.

[5] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص10.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

زمنية الحكاية، وزمنية الخطاب، "فزمن الخطاب زمن طولي من بعض الوجوه، على حين أن زمن الحكاية متعدد الأبعاد، إذ تجري جملة من الأحداث في وقت واحد"[1]

في "نواقيس العزلة" تجري جملة من الأحداث مرة واحدة، وتنتقل من الأحدث للأقدم منه، وتعود لتسرد زمنًا متقدمًا وهكذا في سلسلة من الدوائر المفتوحة، إنه التلاعب بالزمن، وتداخل الأحداث، والاستدعاء الذي "يحتاج إلى نظام مقنع للمتلقي، لأنه ليس عشوائيًّا، ولا يمكن أن يكون كذلك ما دام منتميًا إلى الفن"[2]، وهذا ما عملت الساردة على تأكيده، وهكذا يصبح البوح بتداعياته هاجسًا للخلاص. تقول: "إن الذاكرة بألاعيبها لاتكف عن التغلغل في حقيقتنا الحاضرة، وإن تركيب أي لحظة لا يخلو من تشابك الحاضر بالماضي والمستقبل، بما لا مفرّ من نكرانه أو تفاديه"[3].

لذا فإن المونولوجات التي تأتي على لسان مريم هي مزيج من الأحاسيس الغامضة، والذكريات المتناثرة، والمشاعر الملتبسة، والجنون والهلوسة والأحلام المتداخلة، والشخصيات المستدعاة من روايات الآخرين.

إن الزمن المتشتت والمبعثر بلا رابط مبرر إلا تداعي أفكار البطلة علامة على حالة التشظي والتشتت التي تعيشهما (مريم) ومحاولة ترتيب الأحداث وربطها وتفسيرها وتأويلها، ودواعي ذلك وأثره على نفسيتها، هو دليل على رغبة البطلة أن تلملم البعثرة وتجد هويتها المتشتتة عبر الأعمال الروائية الأخرى، وعبر شخصيات من عرفتهم عبر الزمن، فتارة تربط نفسها بامرأة عرفتها في الطفولة، وتارة تكون شخصية من شخصيات الزمن الحالي، وتارة أخرى تقارن نفسها بزميلة في العمل، وهكذا.

رابعًا: الأمكنة وأثرها على مشاعر البطلة

يعد المكان أحد العناصر الهامة في بناء الشكل القصصي، لأن له القدرة على التأثير في تصوير الأشخاص وحبك الأحداث، وفي النص –"نواقيس العزلة"– وعلى عادة الروايات النفسية قد لا يعني المكان كثيرًا في بناء النص، لكنه يتخذ "بملامحه المادية وشكل أبنيته، طابع الرمز الدالّ على هوية حضارية أو قومية محددة"[4]، ومن هنا كانت أهمية الأمكنة التي تدور في رحابها أحداث هذه الرواية؛ إذ تجري في مدينة العين الهادئة، ذات الشوارع السلسة، لكنها بدأت تصير مجهولة لأهلها بسبب الازدحام الذي لم يكن معهودًا، "مستشفى توام ليس بعيدًا عن شقتنا، لكنه وقت الذروة، والاختناق المروري أصبح أمرًا نعتاد عليه، أتذكر يوم كانوا يقولون: أجمل ما في العين هدوؤها وسهولة التنقل بين شوارعها"[5]، لكن المدينة ازدحمت بالغرباء.

---

[1] مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، مجلة عالم المعرفة، العدد 240، 1998م، ص221.

[2] الفيصل، سمر روحي، الرواية النسوية الإماراتية، ط1، وزارة الثقافة وتنمية المعرفة، أبو ظبي، 2016م، ص86.

[3] عطية، نعيم، دلالة الزمن في الرواية الحديثة، المجلة 170، 1971م، ص21.

[4] إسماعيل، محمد السيد، بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، ط1، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2002م، ص14.

[5] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص102.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

كذلك المزرعة في (سويحان) التي ترتادها بين حين وآخر للاستجمام، "كنت في مزرعة والدي طوال الفترة الماضية، أظنها امتدت لأسبوعين، ذهبت إلى هناك برغبتي وبتشجيع من زوجي، رغبت في الابتعاد عنه وترك بعض المساحة له، أن أريح رأسي وأن يرتاح هو مني ويعود إلى نفسه"[1].

إن المكانين: المدينة، والمزرعة، هما أمكنة محببة لهوى البطلة، كانت ترتاح لهما، ويشكلان عنصري راحة واطمئنان، لكنهما تغيرا، بفعل الحالة النفسية التي تعيشها؛ إذ إنها لن تعود إلى المزرعة وإن كانت تحتاج للراحة، خوفًا من سؤال الأهل عن سبب عودتها، ولن تخرج للشوارع والمدينة الهادئة، لأنها لم تعد كذلك، لذا فإنها تختار العزلة داخل شقتها التي تسكنها مع زوجها، لتكون مسرح أحداث هذا النص، وكأنها عزلة تعيشها البطلة بعيدًا عن رحابة المدينة الواسعة الممتدة، عزلة نفسية بغيابها عن الواقع أكثر منها عزلة حقيقية لوجودها في شقة تأتي خادمة لتنظفها بين حين وآخر.

ولأن الإنسان يميل "للبحث عن رقعة من الأرض يضرب فيها وتتأصل فيها هويته،"[2] كان ارتباط البطلة بالمكان واضحًا، وله أثره في شخصيتها المتذبذبة المتحوّلة، فمن الشقة سيبدأ كل شيء، فهي المكان الذي يكتب فيها راشد رواياته، والصوت الذي يرتفع فيها بين طرقات الأصابع على لوحة المفاتيح لحظة تشكل الروايات، وبين طرقات النواقيس التي يدقها (الأحدب) في رأس البطلة تتشكل هويتها، وكما أن للأمكنة أهميتها، فإن للأشياء وترتيبها في الحيز الإيحائي دورها، فهي تعطينا فكرة عن حالة الشخصيات النفسية والاجتماعية، وذلك ما كان يؤثر على البطلة وعلى مزاجها، حين يعيد راشد ترتيب الشقة وفق نوع الرواية التي يكتبها، ويتخلص من أشياء أو يشتري أخرى وفقًا للرواية المتخلقة داخله كذلك.

لذا نرى إحساس الغربة والاختناق من أكثر المكونات تأثيرًا على البطلة، لذا سكنت الشقة وبدأت تتلصص عبر الروايات والنوافذ على حياة هي في مكان آخر.

خامسًا: الوعي بالأحداث وتشوّه المشاعر

إن الأحداث في رواية نواقيس العزلة، عديدة متشابكة، مرتبطة أساسًا، بالأفكار التي تعاني من ثقلها، والحدث هو: "الحادثة التي تشكلها حركة الشخصيات، لتقدم في النهاية تجربة إنسانية ذات دلالة معينة، وهو الحكاية التي تصنعها الشخصيات، وتكون منها عالما مستقلا له خصوصيته المتميزة"[3].

والرواية لا تولي عناية كبيرة بالأحداث من حيث تسلسلها، بل من حيث تأثيرها النفسي على البطلة؛ إذ تبدو الأحداث مرتبطة بإصدار زوجها للروايات واحدة بعد الأخرى، وأثر ذلك على شعورها، وحالتها النفسية، وظروفها الأسرية، لاسيما وهي تمرّ بأزمة تشوّه هويتها الأنوثية، فقدان قدرتها على الإنجاب، لتجد أن حياتها أصبحت حياة هذه الشخصيات التي يكتبها زوجها في رواياته، فلهذا يبدو العمل كما يقول

---

[1] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص11.

[2] إبراهيم، نبيلة، خصوصية التشكيل الجمالي للمكان في أدب طه حسين، مجلة فصول، العدد 1-2 (9)، 1990م، ص49.

[3] وادي، طه، دراسات في نقد الرواية، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989م، ص31.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

(آلان روب جرييه) في كتابه "لقطات"، كما لو كان مشروعًا يتعاون الكاتب القارئ على بنائه؛ إذ: "لا شيء استقرّ وانتهى أمره، لا بداية ولا نهاية ولا تعليق"[1].

فنلحظ أن الشك دائمًا حول مسار الأحداث، هو الانطباع الذي تتركه الأحداث، لاسيما مع غرائبية ظهور (كوزيمودو) من رواية أحدب نوتردام، الذي يرافق البطلة في أوقاتها، فيظلّ الشك مهيمنًا، لا سيما مع تداخل الأزمنة وذلك من خلال لغة تشبه الهلوسات، فتبدو الأحداث متواليات ذهنية، تصدر عن ذهن مشوش. ومن هنا تفقد رواية نواقيس العزلة عنصر الحبكة أو العقدة والحل.

إن الحدث الأعظم الذي غيّر حياتها كما تقول البطلة هو: الإجهاض للمرة الثانية، جاء في الرواية: "لم تتغير حياتي فقط؛ بل حياة راشد معي، أصبح شخصًا آخر، كأنه هو الذي أجهض طفلًا وغسلت أحشاؤه وعانى من آلام الظهر والبطن..."[2] هذا الحدث قاد البطل إلى كتابة الروايات، تقول: "هل كان متعلقًا بفكرة إنجاب ابن يملأ حياته التي ملأتُ نصفها وأظنها مع إجهاضي فرغت تمامًا؟ نعم، لم يجد سبيلًا إلا بكتابة الروايات، وحين نجح اتخذ من كل واحدة منها ابنًا له"[3].

أما الحدث المحفّز على الحكي فهو اكتشافها أنه يكتب رواية جديدة بعد عودتها من مزرعة والدها، ما حفّزها على استعادة ذكريات الروايات السابقة، والتي عانت من ثقلها ومزاج زوجها المتبدل من عمل إلى آخر. النقرات التي تسمعها على لوحة المفاتيح من أصابع زوجها الروائي، تحفز طرقات أخرى يستدعيها إحساسها المرهف للأصوات، فيتمثل أمامها (كوازيمودو) الأحدب بطرقاته على الأجراس النحاسية، النواقيس التي تطرق حياتها وتتركها وحيدة في عزلة، تأسرها في العالم الروائي، وتبعدها عن الحياة الاجتماعية من حولها.

هذا الحدث استدعى سردًا لحياتها، وتركها تلتهم أدويتها المهدئة، لتصحو في نهاية الرواية في المستشفى بين زوجها وعائلتها، وتعرف أنها عانت لعدة أيام من غسيل للكلى، وكأن هذا الغسيل غسل معه ذكرياتها وأوهامها التي عاشتها في الكابوس الطويل، كابوس الأحدب المتماهي معها، وتركها تقول: تبًا للروايات، كل الروايات.

سادسًا: الهوية المشوهة: حقيقة أم أزمة معتقد؟

بين الإعاقة المرئية للأحدب الذي يتدلى من السقف، والتشوّه اللامرئي للمرأة غير القادرة على الإنجاب، تقبع هوية هذه الرواية، إنه التماهي، بين القبح الذي يرصده المجتمع ويتغافل عن طيبة تسكن هذا الجسد، وبين روح معطوبة، منعزلة، تعاني اجتماعيًّا من ضغوط بسبب عدم قدرتها على الإنجاب؛ "إنَّ التشوُّه

---

[1] جرييه، آلان روب، لقطات، ترجمة: عبد الحميد إبراهيم، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م، ص24.

[2] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص29.

[3] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص30.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

يعني الانحراف والتغير إلى الأسوأ مقارنةً بما هو سائد، وربما يدلُّ أيضًا على إظهار صورة غير مطابقة للحقيقة."[1].

فحضور الأحدب حضور لافت، إنه معها في كل اللحظات: في أحلامها، أقرب لها من زوجها، ونفسها، هو وعيها المشوّه وإحساسها بالهوية المتشظية، تقول له في غير موضع، "أنا وأنت متشابهان، ما هو هذا التشابه، هل هو التشوّه، هل هو النقص؟ هل هو فقدان الحيلة، أم أنها نظرة المجتمع الذي لا يرى إلا ما يريد أن يراه من قبح!".

إنه البؤس الذي يجمعهما، جاء في الرواية: "إن كان راشد يشبه الأبطال في الروايات الكلاسيكية فأنا إحدى شخصيات بؤساء هوجو، أنا وكوزاي أبطال هوجو، يلوح برشاده سعيدًا، لقد وجدت ما يجمعنا يا صديقي"[2].

إن بحث مريم بطلة نواقيس العزلة عن هويتها، مستمدٌ من تصوراتها المسبقة عن الزواج والأسرة، ولما كان أن اختلف الواقع عما توقعته، كان إحساسها بالغربة دافعًا لها للعزلة الاجتماعية التي فرضتها على نفسها، فالعزلة بهذا المعنى: "ظاهرة اجتماعية؛ لأنها تفترض الشعور بالذات الأخرى، وإن أكثر أشكال العزلة تطرفًا وكآبة هو ما تعانيه وسط المجتمع في العالم الموضوعي، واتصال الأنا بـ(الأنا) وبالعالم الموضوعي، لا يحلّ مشكلة العزلة، فهذا الاتصال يحدث كل يوم ولكنه يضاعف من عزلة الإنسان أكثر من أن يخففها"[3].

وبهذا نرصد حالة مريم المتشبثة بأفكار والدتها، ومجتمعها، وإحساسها بالنقص لعدم إنجابها الطفل، وابتعاد زوجها عنها ليترسخ داخلها شعور الهوية المشوّهة الباحثة عن ذاتها في حيوات الروايات، لذا لن تتردد في كل مرة من أن تقول: "تبًا للروايات، كل الروايات"، لأنها ومع بحثها ذلك، لم تجد اكتمالًا إنما وجدت تفتتًا وتبعثرًا لهوية يراد لها الاكتمال، لكنها لم تستطع لاختلاف الحالات والشخصيات والأفكار التي حاولت أن تكتشف ذاتها من خلالها ففشلت كل تلك المحاولات، وتركتها امرأة بائسة، تبتلع الحبوب لتهدأ.

ومن هنا كان التماهي في رواية "نواقيس العزلة" مع الشخصيات الروائية يجسد قيمة تهدف إليها الرواية، وهي انعدام المسافة بين المتخيل والواقعي، فالعالم الروائي بأكمله يقدم من خلال هلوسات عاشتها الساردة وقت غيبوبتها التي سحبتها من الواقع ثلاثة أيام، لذا نلحظ أن الزمن المتشظي، والأمكنة المتداخلة، والشخصيات الروائية المستدعاة، والأحدب المتدلي من السقف، والأطفال المتخيلين، والشخصيات الفارّة من روايات عالمية، وروايات زوجها المحكية ما هي إلا عناصر اجتمعت لتخلق عالمًا متشظيًّا، متكسّرًا، مبعثرًا ما يؤكد أنه عندما "تتشظى الأبنية المجتمعية، ويفقد الإنسان وحدته مع ذاته، لا بدّ من الاستناد

---

[1] اختيار، ماهر. "حضور "الشخص في حالة إعاقة" في الأدب – أحدب نوتردام نموذجًا"، د.ت، موقع معابر، رابط: http://www.maaber.org/issue_july15/books_and_readings1.htm

[2] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م، ص176.

[3] بريديائف، نيقولاي، العزلة والمجتمع، ترجمة: فؤاد كامل عبد العزيز، د. ط، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1960م، ص118.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

إلى جماليات التفكك بدلا من جماليات الوحدة والتناغم، وفي ظل التفتت والتبعثر والتناثر لا بدّ من تفجير منطق الحبكة القائمة على التسلسل والترابط أو البداية والذروة والنهاية"[1]

إن هوية (مريم) في رواية "نواقيس العزلة" هوية امرأة تبحث عن ذاتها الأنثوية من خلال الأمومة، لذا نجدها تقول: "لقد فقدت كل فرصة في الإنجاب، أفسدت رحمي ضرباته، لم يعد ينفع شيء، نحاول عبثًا، نحرث في أرض بور، لكن لا فائدة، سأظل ناقصة، وهو الذي انتزع مني حلمي الأغلى، لن أغفر له يومًا، ما المرأة بلا أسرة تكتمل بأبناء تنجبهم وتربيهم وتزوجهم لترى أحفادها؟ كل زوجة تبقى ناقصة ما لم تنجب، والزواج بلا أبناء زواج خاوٍ"[2] ولما لم تجدها، بحثت عنها في علاقتها بزوجها، فلم تجد اكتمالها كذلك لانشغاله عنها بالكتابة، لتترك القارئ مع سؤال جوهري: ما الذي يجعل المرأة مكتملة؟ هل هي الأمومة والأطفال؟ هل هو الزواج؟ أم أنها تصورات المرأة نفسها عن ذاتها وتوازنها مع نفسها، وتقبلها لجسدها وأفكارها بعيدًا عن تصورات الآخرين؟

الخاتمة

تطرح الرواية الإماراتية على تنوعها إشكالات الهوية بصورة بارزة، وتجلى ذلك بوضوح في رواية "**نواقيس العزلة – تباً للروايات**"، حيث تبرز الهوية عبر تماهيها بين الإعاقة المرئية للأحدب المتدلي من السقف وبين التشوه اللامرئي للمرأة غير القادرة على الإنجاب. فالأحدب يجسد القبح الذي يراه المجتمع ويُغفل الطيبة الكامنة داخله، بينما تعيش المرأة في عزلة روحية تترك روحها معطوبة بسبب عدم قدرتها على الإنجاب، وهو تشوّه غير مرئي يجعلها مُهمشة داخل هذا المجتمع.

يرتكز بحث مريم عن هويتها في الرواية على تصوراتها المسبقة حول الزواج والأسرة، ولكن مع خيبة توقعاتها في هذا السياق، قادها الشعور بالاغتراب إلى العزلة الاجتماعية، كما أن تماهيها مع الشخصيات الأخرى في النص يبرز هويتها المشوهة، حيث لم تصل إلى حالة من الاكتمال، بل عاشت حالة من التفكك والتبعثر في محاولاتها لاكتشاف ذاتها.

تقدم الرواية رؤية عميقة ومعقدة حول تشويه هوية المرأة في مجتمع يعيش صراعًا بين الموروثات التقليدية والتصورات الحداثية، حيث يتجلى هذا الصراع في التوتر العميق الذي عانت مريم من جرائه: الضغوط المجتمعية التي تصنف المرأة المكتملة على أساس قدرتها على الحمل، وبين سعيها الذاتي لاكتشاف كيانها الأنثوي بعيدًا عن هذه التوقعات المجتمعية.

وبهذا تعدّ الرواية انعكاسًا للأزمات النفسية والاجتماعية التي تواجهها النساء في المجتمع المعاصر، حيث تستخدم الشخصيات كأداة لتسليط الضوء على تعقيدات الهوية والأنوثة، وفي نهاية المطاف، تبقى مريم عالقة بين الواقع والخيال، في رحلة مستمرة للبحث عن ذاتها، وهو ما يجعل من رواية "نواقيس العزلة" نموذجًا مثاليًا للكشف عن تأثير العزلة والتشوه على الهوية الفردية.

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

---

[1] الماضي، شكري عزيز، أنماط الرواية العربية الجديدة، مجلة عالم المعرفة، العدد 335، 2008م، ص15.

[2] الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

الهوية الأنثوية المشوهة والفشل في تحقيق الأمومة: وفقًا للنظرية النسوية، يشكل الإنجاب جزءًا رئيسًا من تعريف المجتمع للأنوثة، لذا فإن فشل مريم في الإنجاب يعمق شعورها بالنقص ويؤدي إلى أزمة في هويتها بوصفها امرأة، هذه الهوية المشوهة تعكس تأثير البناء الاجتماعي الذي يفرض معايير قاسية على النساء، ويربط قيمتهن بالمقدرة على الإنجاب، وهذه صورة نمطيّة كرسها اللاوعي الجمعي لمفهوم الأمومة والأنوثة.

تماهي البطلة مع الشخصيات الروائية والانفصال عن الواقع: تقدم الرواية صورة غنية للهروب من الواقع والتماهي مع شخصيات خيالية، مما يعكس رغبتها في إيجاد بدائل لهويتها المشوهة من خلال الشخصيات الخيالية. يمكن رؤية هذا التماهي من وجهة نظر نسوية على أنه رفض للأدوار التقليدية، ورغبة في التحرر من القيود من خلال الانخراط في عوالم بديلة حتى وإن كانت خيالية.

التفكك والتشوه: إن الصراع الذي عانت مريم من ثقله، وتشتتها بين عالمي الواقع والخيال، زاد من تشوه هويتها النفسية والاجتماعية، وبعثر تماسكها، إذ يعكس التشظي فشلها في التوفيق بين توقعات المجتمع ورغباتها الشخصية، إنه الصراع بين اللاوعي الفردي واللاوعي الجمعي، إنه التمزق بين الهوية الفردية، وهوية المجتمع.

المراجع

- إبراهيم، نبيلة، خصوصية التشكيل الجمالي للمكان في أدب طه حسين، مجلة فصول، العدد 1-2 (9)، 1990م.
- اختيار، ماهر، "حضور الشخص في حالة إعاقة" في الأدب – أحدب نوتردام نموذجًا، د. ت، موقع معابر، رابط: http://www.maaber.org/issue_july15/books_and_readings1.htm
- إسماعيل، محمد السيد، بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، ط1، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2002م.
- تشاندلر، دانيال، أسس السيميائية، ترجمة: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008.
- جرييه، آلان روب، لقطات، ترجمة: عبد الحميد إبراهيم، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م.
- الحاج، لطيفة، نواقيس العزلة، مداد للنشر والتوزيع، دبي، 2019م.
- حسين، خالد، شؤون العلامات من التشفير إلى التأويل، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق 2008.
- عطية، نعيم، دلالة الزمن في الرواية الحديثة، المجلة 170، 1971م.
- غي هرميه، وآخرون، قاموس علم السياسة والمؤسسات السياسية، ترجمة: هيثم اللمع، ط1، ص408، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2005.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

- الفيصل، سمر روحي، الرواية النسوية الإماراتية، ط1، وزارة الثقافة وتنمية المعرفة، أبو ظبي، 2016م.
- القاضي، محمد، وآخرون، معجم السرديات، د. ط، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010م.
- قطوس، بسام، دليل النظرية النقدية المعاصرة مناهج وتيارات، فضاءات للنشر والتوزيع، 2015، ص44-46.
- كريستفا، جوليا : زمن النساء، ترجمة: بشير السباعي، مجلة ألف، العدد 19، منشورات الجامعة الأمريكية، القاهرة، 1999، ص192-209.
- لارين جورج، الإيديولوجيا والهوية الثقافية، ترجمة: فريال حسن خليفة، ط1، ص270، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002.
- الماضي، شكري عزيز، أنماط الرواية العربية الجديدة، مجلة عالم المعرفة، العدد 335، 2008م.
- مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، مجلة عالم المعرفة، العدد 240، 1998م.
- هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، ط8، دار نهضة مصر، مصر، 2009م.
- وادي، طه، دراسات في نقد الرواية، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989م.
- يريديائف، نيقولاي، العزلة والمجتمع، ترجمة: فؤاد كامل عبد العزيز، د. ط، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1960م، ص118.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024